

تفسير السعدي

@ 274 @ العذاب ، ويأخذون منهم ، بالظلم والجور ، أضعاف ما منعوا من حقوق ا ،
وحقوق عباده ، على وجه غير مأجورين فيه ، ولا محتسبين . كما أن العباد ، إذا صلحوا
واستقاموا ، أصلح ا رعاتهم ، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف ، لا ولاة ظلم واعتساف . ثم وبخ
ا ، جميع من أعرض عن الحق وردة ، من الجن والإنس ، وبين خطأهم ، فاعترفوا بذلك ، فقال
2 ! : 2 ! الواضحات البينات ، التي فيها تفاصيل الأمر والنهي ، والخير والشر ، والوعد
والوعيد . 2 ! 2 ! ويعلمونكم أن النجاة فيه ، والفوز إنما هو بامثال أوامر ا ،
واجتناب نواهيه ، وأن الشقاء والخسران في تضييع ذلك . فأقروا بذلك واعترفوا ، ف ! 22
! بلى ! 2 ! 2 ! بزینتها ، وزخرفها ، ونعيمها فاطمأنوا بها ، ورضوا بها ، وألهتهم عن
الآخرة . 2 ! 2 ! فقامت عليهم حجة ا ، وعلم حينئذ ، كل أحد ، حتى هم بأنفسهم ، عدل
ا فيهم . ^ (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) ^ ولكنهم ، وإن
اشتركوا في الخسران ، فإنهم يتفاوتون في مقداره ، تفاوتاً عظيماً . 2 ! 2 ! منهم ^ (درجات ما عملوا) ^ بحسب أعمالهم ، لا يجعل قليل الشر منهم ، ككثيره ، ولا التابع
كالمتبوع ، ولا المرؤوس كالرئيس . كما أن أهل الثواب والجنة ، وإن اشتركوا في الربح
والفلاح ودخول الجنة ، فإن بينهم من الفرق ، ما لا يعلمه إلا ا ، مع أنهم كلهم ، رضوا
بما آتاهم مولاهم ، وقنعوا بما حباهم . فنسأله تعالى ، أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى
، التي أعدها ا للمقربين من عباده ، والمصطفين من خلقه ، وأهل الصفوة ، أهل وداده . !
2 ! 2 ! فيجازي كلا بحسب عمله ، وبما يعلمه من مقصده . وإنما أمر ا العباد بالأعمال
الصالحة ، ونهاهم عن الأعمال السيئة ، رحمة بهم ، وقصدا لمصالحهم . وإلا ، فهو الغني
بذاته ، عن جميع مخلوقاته ، فلا تنفعه طاعة الطائعين ، كما لا تضره معصية العاصين . ! 2
2 ! بالإهلاك ! 2 ! 2 ! . فإذا عرفتكم بأنكم ، لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار ، كما انتقل
غيركم ، وترحلون منها ، وتخلونها لمن بعدكم ، كما رحل عنها من قبلكم ، وخلوها لكم .
فلم اتخذتموها قراراً ؟ وتوطنتم بها ، ونسيتم أنها دار ممر لا دار مقر . وأن أمامكم داراً
، هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة ونقص ؟ وهي الدار التي يسعى إليها
الأولون والآخرون ، ويرتلح نحوها ، السابقون واللاحقون . التي إذا وصلوها ، فثم الخلود
الدائم ، والإقامة اللازمة ، والغاية التي لا غاية وراءها ، والمطلوب الذي ينتهي إليه كل
مطلوب ، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب . هنالك ، وا ، ما تشتهيهِ الأنفس ، وتلذ
الأعين ، ويتنافس فيه المتنافسون ، من لذة الأرواح ، وكثرة الأفراح ، ونعيم الأبدان

والقلوب ، والقرب من علام الغيوب . فإهمة ، تعلقت بتلك الكرامات ، وإرادة سمت إلى أعلى الدرجات وما أبخس حظ من رضي بالدون ، وأدنى همة من اختار صفقة المغبون ولا يستبعد المعرض الغافل ، سرعة الوصول إلى هذه الدار . ! 2 2 ! ، فارين من عقابه ، فإن نواصيكم تحت قبضته ، وأنتم تحت تدبيره وتصرفه . ! 2 2 ! يا أيها الرسول لقومك : إذا دعوتهم إلى الله ، وبينت لهم مآلهم وما عليهم من حقوقه ، فامتنعوا من الانقياد لأمره ، واتبعوا أهواءهم ، واستمروا على شركهم : ! 2 2 ! أي : على حالتكم التي أنتم عليها ، ورضيتموها لأنفسكم . ! 2 2 ! على أمر الله ، ومتبع لمراضي الله . ! 2 2 ! أنا أو أنتم . وهذا من الإنصاف ، بموضع عظيم حيث بين الأعمال وعاملها ، وجعل الجزاء مقرونا بنظر البصير ، ضاربا فيه صفحا ، عن التصريح الذي يغني عنه التلويح . وقد علم أن العاقبة الحسنة ، في الدنيا والآخرة ، للمتقين . وأن المؤمنين لهم عقبى الدار ، وأن كل معرض عن ما جاءت به الرسل ، عاقبته سوء وشر ، ولهذا قال : ! 2 2 ! فكل طالم ، وإن تمتع في الدنيا بما تمتع به ، فنهايته فيه ، الاضمحلال والتلف (إن الله ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته) . ^ (وجعلوا مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا ه ذا الذي بزعمهم وه ذا لشركائنا فما كان